يقظة الشرق

ابنّا في مقالة سابقة في هذا الجزء ان البلاد العثمانية مديونة لاوربا بمئة مليون من الجنيهات وحكومتها مديونة بنحو مئة وعشرين مليوناً فتضطر ان تؤدي «جزية» لاوربا نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات كل سنة . اي يضطرُّ كل بيت ان يؤدي جنيهين في السنة على المتوسط . وهذا شأن القطر المصري بل الحال فيهِ اسوأ من هذا القبيل لان دينهُ ودين حكومتهِ يبلغان نحو ١٥٠ مليوناً من الجنيهات واذا حسبنا رباها سبعة ملايين خصَّ البيت ثلاثة جنيهات في السنة تتقاضاها اوربا منا

هذه حالنا في الشرق الادنى . وحال ايران ليست اصلح من حالنا ولا حال الهند وسائر الممالك القديمة المتصلة بها ولا يبقى من ممالك الشرق ما هو مستقلٌّ سياسيًّا وماليًّا الاَّ الصين واليابان فهل يتيسَّر لتينك الدولتين ان تسابقا اوربا وتخلّصا الشرق من رِبقتها وهل تقوى نحن في الشرق الادنى على الاقتداء باوربا في اصلاح شؤوننا وايفائها ما لها علينا من الدين فنخلص من هذا الاستعباد المالي ؟ قال كاتب في جريدة التيمس ان ذلك قريب ميسور وها نحن ملخّصون ما كتبهُ في هذا الموضوع قال

ان من يجول في شوارع لندن بعد ان غاب عنها سنين كثيرة يعجب ممَّا يراهُ فيها من آثار الغنى والرفاهة وكان السكان قد امنوا طوارق الحدثان ولا همَّ لهم سوى تسهيل المعيشة على عمالهم وشيوخهم وفقرائهم

يرى الرائي ذلك فيقول في نفسهِ امَّا انا في حلم او هم نيام لا يشعرون بما خبَّأهُ لهم الدهر . ثم يتذكر ما كان يشاهدهُ بالامس في نور النهار الساطع تحت شمس الشرق البهية مداخن المعامل وقد انتصبت كاشجار الحراج واصحابها من الشرقيين السمر الالوان ومديروها منهم وعمالها من اهالي بلادهم وكل منهم يعمل ١٢ ساعة الى ١٤ ساعة في يومهِ بلا ملل ولا ضجر واجرتهُ لا تزيد على بارات قليلة . هناك دور صنعة وسيعة تصنع الاسلحة من المدفع الكبير الى الفرد الصغير من غير ان يكون فيها عامل اوربي او مدير اجنبي . هناك تصنع البوارج الضخمة المنيعة وبحارتها كلهم وضباطهم وربانوهم من الشرقيين لا اجنبيَّ فيهم ومدن امريكا الخاصَّة بالسكان غنية زاهرة وقد خلعت ثوب الخمول وارتدت رداء اليقظة . يتذكر تلك السهول الفسيحة تموج بالقمح والارز والحراج الغياء والانهار المتدفقة وسكك الحديد تخترق الفياض وتقرب الابعاد وتربط اقدم مدن الدنيا بربط من الفولاذ . وهناك مناجم

لا تنفد من الفحم والحديد والذهب لا تزال بكراً تنتظر رجال العهد الجديد . يتذكر امماً لا تحصى تعلمت سر العمل حينما كان اسلاف الاوربيين يرتدون الجلود ولا يخطر لها ان تنقطع عن العمل الآن ولا في مستقبل الازمان بل الصبر على المشاق كان ديدنها في الماضي وسيبقى ديدنها في الحال والمستقبل . يتذكر رجالاً عقولهم اذكى من عقول الاوربيين وجلدهم اشد من جلدهم وليس للموت رهبة في نفوسهم . ثمانمئة مليون من النفوس راقبوا امم اوروبا تدوّخ بلادهم وتجور عليهم منذ ثلثمئة سنة الى الآن وهم نيام وقد استيقظوا الآن ودبّت فيهم روح جديدة روح المقاومة روح العمل بالعزم والحزم فعقدوا النية على ان تكون بلادهم لهم وخيراتها لهم لا يشاركهم فيها غريب والشرقي اذا عزم لا يُقهر . فالعائش في ربوع الاحلام ليس اسيا بل اوربا

العصر الجديد

ابتدأ هذا العصر الجديد في اسيا يوم قالت الصين لايطاليا اخرجي من خليج سمسون . اما التاريخ فيحفظ لهُ يوماً آخر بل ليلة اخرى تلك الليلة الرهيبة التي مخرت فيها قوارب اليابان قوارب الطربيد تحت جنح الظلام وبيّتت بوارج الروس في ظل الاكمة الذهبية . نعم ان لارتفاع العلم الياباني على بورت ارثر معنىً يفوق غلبة اليابانيين فان اسيا كلها حسبتهُ دليل ما فيها من القوة الكامنة وبرهاناً على ان المد الذي حمل الغربيين الى ربوع المشرق قد ابتدأ جزره وسيردهم الى مواطنهم . وعلى ان المدّ الذي ابتدأ حينما رأى قسكو سواحل كلكتا الذهبية ووقتما اجتاز يرمك برجاله جبال اورال الى سهول سيبيريا وقف حينئذٍ اول مرة وعرفت شعوب اسيا ان لغربيهم قد انبلج . ثم لما فتح اليابانيون ارتاخ منشوريا ومزقوا اقفالها وردوا الروسيين على اعقابهم لمعت نشوة الظفر برؤوس كل امم اسيا من القسطنطينية الى كنتون ومن كابول الى مدراس ومن طوكيو الى هيل . ونحن هأنذا خلفائنا يوم دحروا عدوهم على اكام مشان ولم يخطر ببالنا ما يصيبنا من ظافرهم في مستقبل الايام نحن وكل امم اوربا

درس من التاريخ

ان ظفر اليابان ليس بالحادث الفذ الذي لم يكن لهُ في التاريخ مثيل وان كنا قد نظرنا اليهِ بالدهشة والحيرة فما ذلك الاّ لان فوزنا المستمر على الشرق في القرون الاخيرة قد انسانا عبر التاريخ . ولكننا اذا استنطقنا القرون الغابرة وجدنا ان الزمان كلهُ كان حرباً سجالاً بين الشرق والغرب بين اسيا واوربا تارة يكون الفوز للاولى وتارة للاخرى دواليك يتعاقبان تعاقب النهار والليل

وهناك ثلاث مسائل كبرى سيكون لها الشأن الاكبر في تكييف العلاقة بين اسيا واوربا في القرن الحاضر . المسألة الاولى علاقة بريطانيا العظمى بالهند . فان بقاء الهنود راضخين للسلطة الانكليزية يتوقف على تكييف العلاقة المالية بين الهند وانكلترا لان سيادة الانكليز على الهند مالية في جوهرها فاذا تنوعت هذه السيادة بحيث يرضى الهنود بها لم يهمهم الا الرضى ببقاء الهند متصلة ببريطانيا لما في ذلك من النفع الجزيل للهند نفسها

والمسألة الثانية مسألة مستقبل الصين وسيكون لهذه المسألة الشأن الاكبر في علاقة اوربا باسيا ماديًّا لان الصين كثيرة الخيرات جدًّا واهاليها من اكثر الناس اجتهاداً وامهرهم صناعةً ويظن كثيرون ان الصين ستعود اعظم دولة في اسيا كما كانت قبلاً . والخوف الاكبر من الصين هو الخوف من مناظرتها في الصناعة وهذه المناظرة لا يشعر بها الآن ولكنها ستقوى مع الزمن لاسيما وان روابط الاتحاد وطلب التفوق عاملة الآن بين شعوبها ولا بدَّ من ان تضمهم وتصلح شؤونهم وتجعلهم اكبر المناظرين لنا

والمسألة الثالثة مسألة الشرق الادنى اي مسألة تركيا ومصر وايران ويجب ان يكون اهتمامنا بها اشد لانها ستعرض اولاً ولان الشرق الادنى كان ميدان تناظر الدول من قديم الزمان

العوامل الثلاثة

وتوجد ثلاثة عوامل كبيرة كما توجد ثلاث مسائل كبيرة ولهذه العوامل اليد الطولى في تكييف تلك المسائل

العامل الاول تسهيل المواصلات برًّا فانهُ ينتظر ان سكة الحديد تصل بين الهند واوربا من الجهة الواحدة و بين الهند والصين من الجهة الاخرى ولا بد من ان تتغير بها الاحوال الحاضرة تغيراً كبيراً جدًّا

والعامل الثاني تنبه الشعوب الاسيوية الذي ابتدأ في بلاد اليابان . ولا شبهة ان هذا التنبه عمَّ الشرق كلهُ الان فنبض قلب الشرق وانتشرت حركتهُ في كل شرايينهِ ولا بدَّ من ان يكون لذلك اثر كبير في جسم الشرق كلهِ

والعامل الثالث هو نهضة اسيا الصناعية والمناظرة التي ستنجم عنها بينها وبين اوربا وهي حرب صناعية لا تقل عن الحرب الحقيقية عنفًا لكنها لا تبلغ شدتها ولا يحمى وطيسها الاَّ متى كثرت دور الصنعة في اسيا وفخمت مناجمها فصنعت المدافع والبوارج اما قبل ذلك فتكون اسلحتها بالات النسوجات وصناديق المصنوعات فان الملايين من اهالي اسيا شعارهم

الجد والصبر والمزاولة ودينهم حب وطنهم وعشيرتهم فلا يغادرون بلادهم ولا يفارقون بضعتهم وقد القوا زروع ارضهم منذ مئات والوف من السنين وهم مقيمون على ذلك وقد اخذوا الآن ينشرون المعامل فهل ينتظر ان يشتروا من اوربا ما يستطيعون عمله في بلادهم ثم اذا صنعوا ما يكفيهم من ذلك اقلا يصنعون ما يزيد عنهُ ويناظرون اوربا في اسواق المسكونة فعلى اهالي اوربا ان يستيقظوا من سباتهم ويفيقوا من سكرتهم

هذه خلاصة ما جادت بهِ قريحة الكاتب . ونحن ابناء الشرق الادنى حسب تسميتهِ وحسبما نسمي انفسنا لا نرى وجهاً لاوربا لان توجس منا شراً لانا لا نطلب مناظرتها ولا ندّعي اننا نقوى على ذلك ولم تزل بلاد الله واسعة لها ولنا وغاية ما نطلبهُ ونرجي اليهِ ان نعيش بالامان والاطمئنان نحن وهي متساويين لا سيد ولا مسود

مخاطر الطيران

لما ابتدأ سباق الطيارات من باريس الى مدريد في ٢١ مايو الماضي كان بين السابقين رجل اسمهُ ترين واتفق ان آلة طيارتهِ اختلّت وتأخر طيرانها فخرج بعض الحضور الى ميدان الطيران وانبثوا فيهِ حتى دعت الحال ان يدخل فرسان البوليس ويردوهم الى مواقفهم . وحينئذٍ تمكن المسيو ترين من الارتفاع بطيارتهِ لكنهُ لم يكد يرتفع عن الارض حتى رأى ان آلتها غير جارية على انتظام فحاول النزول ودار لكي لا يقع على فرسان البوليس واذا امامهُ اناس آخرون متفرقون في الميدان لم يرهم قبلاً فحاول ان يرتفع بطيارتهِ ايضاً لكي لا يقع عليهم لكن آلة الطيارة وقفت حينئذٍ عن الحركة فسقطت الطيارة بهِ بغتة وكان هناك المسيو موفي رئيس نظار فرنسا والمسيو برتو ناظر الحربية وابن المسيو موفي والجنرال روكه وحكدار البوليس وغيرهم من وجوه القوم وكانت مروحة الطيارة لا تزال دائرة بسرعتها فنطمت رأس ناظر الحربية وعنقهُ ومزقتهما وقطعت ذراعهُ اليمنى ورمتها على عشر اقدام منهُ وصدمت المسيو موفي رئيس النظار في وجههِ وصدرهِ فاصابتهُ بجروح كثيرة ولو لم يكن ابتهُ قريباً منهُ ويجذبهُ لكان الضرر اشد . واما ناظر الحربية الروح بعد دقائق قليلة واغمي على رئيس النظار ثم اسعف بالعلاج فشفي واصابت مروحة الطيارة اثنين غيرهما فاصابتهما منها رضوض طفيفة اما الطيار نفسهُ فخرج من طيارتهِ سالماً

ومن الغريب ان طيارة اخرى وقعت في كرسك بروسيا قبل ذلك بيوم واحد فاذت